روبرت بار

المعركة الأخيرة

خطة لقتل شيرلوك هولمز

مكتبة

ترجمة : ناتالي يوسف

بغدادي

المعركة الاخيرة
خطة لقتل
شيرلوك هولمز

روبرت بار

مكتبة 1264

المعركة الأخيرة
خطة لقتل
شيرلوك هولمز

ترجمة :ناتالي يوسف

بغدادي
BAGHDADI

بغدادي

عنوان الكتاب : المعركة الأخيرة خطة لقتل شيرلوك هولمز
إسم المؤلف : روبرت بار
ترجمة : ناتالي يوسف
الطبعة الأولى - 2022

تصميم الغلاف : هشام نزار
الاخراج الفني : هشام نزار

جميع الحقوق محفوظة لـ دار بغدادي
ISBN : 978-9922-9370-7-6

مغامرة الغنيمة الثانية

مغامرة الغنيمة الثانية

الوقت ليلة عيد الميلاد لعام ١٩٠٤، المكان مَنزل ريفي قديم مُنعزل مَبني في القرن الماضي في عام ١٨٩٦، يقع على قمة وادٍ عميق، يكسوه السرخس الواصل طوله إلى مُستوى الخصر، ويحرسه ويُظلل عليه أشجار قديمة مُتبقية من غابةٍ من أول الزمان. لا يمكن رؤية أي سكنٍ بشري آخر من هذا المنزل الريفي. كان الطريق المُنحدِر الذي يربط طريق الملك السريع بهذه القلعة مُتعرجًا للغاية، وزلقًا لدرجة أن البارونيت المُتجهم الذي كان يمتلك هذه القلعة قد أتلف سيارته أكثر من مرةٍ محاولًا القيادة عبر المُنحنيات الخطرة. لا بدَّ أن عزلة هذا المنزل الريفي المهيب، وعمارته القاتمة قد تركتا انطباعًا سيئًا لدى أي شخصٍ عادي ينظر إليه، بالتفكير في أنه المكان المناسب

لارتكاب الأفعال الشريرة، لولا حقيقة أن المكان كان يشعُّ بالضوء الكهربائي، وكان الضجيج الرتيب المُنتظم لمجمع الكهرباء، الذي يضخ السائل الرقيق في مُولِّدٍ كهربائي مُستقبِلٍ يقع في مبنًى خارجي ناحية الشرق يُعزز الصمت ولا يقطعه.

كانت الليلة مُظلمةً ومُلبدةً بالغيوم بعد يومٍ من المطر، لكن كآبة المنظر جعلت النوافذ الرائعة ذات الزجاج المُلوَّن تبرُز مثل الغلاف اللامع للعدد الخاص بعيد الميلاد. كانت هذه إطلالة (أندرشو)؛ منزل سير آرثر كونان دويل، الواقع بين براري هيندهيد، على بُعد أربعين أو خمسين ميلًا من لندن. فهل من العجيب أنه في مكان بعيدٍ جدًّا عن الحضارة يُتجاهل القانون، ويرتجف الشرطي الوحيد الذي يجُول في المنطقة عندما يجتاز بوابات (أندرشو) الشريرة؟!

في هذا المنزل الريفي جلس رجُلان في غرفةٍ كبيرة، مفروشة بأناقة فاخرة لم يكن لأحد أن يتوقعها في منطقةٍ بعيدة جدًّا عن المؤثرات الإنسانية. كان أحدهما عملاقًا، وأضفى جبينه العريض وذقنه القوي المحلوق ملامح الحزْم على وجهه، التي تعزَّزت أكثر بشاربٍ أسود كثيفٍ يُغطي شفته العليا. كان يتمتع بصفات الفرسان في قوامه المُستقيم والمُستقل. وقد شارك — في الواقع — في أكثر من معركةٍ شرسة، وكان عضوًا في عدة نوادٍ عسكرية. لكن كان من الواضح أن أسلافه قد استخدموا الهراوات الحربية، ونقلوا إليه بِنية هرقل. لم يكن المرء بحاجة إلى إلقاء نظرة على عدد عيد الميلاد الخاص بمجلة (ستراند)، الذي كان يحمله في يده، ولا قراءة الاسم المطبوع هناك بأحرُفٍ كبيرة، ليعرف أنه كان وجهًا لوجهٍ مع سير آرثر كونان دويل.

كان ضيفه — وهو رجل أكبر منه سنًّا، لكنه لا يزال في مقتبل العمر، ولحيته يَشوبها اللون الرمادي — لا يمتلك هيئةَ رجل حربٍ مثل الروائي الشهير، وينتمي — كما هو واضح — إلى القسم المدني وليس العسكري من الحياة. كان يمتلك مظهر رجل أعمالٍ ناجح، داهية، دمث الأخلاق، مُسالم، وهاتان الشخصيتان المُتناقضتان بشدة هما نوعا الرجال اللذان تُدين لهما إنجلترا بعظمتها. ومن المُحتمَل جدًّا أن يشعر قارئ عدد عيد الميلاد بخيبة أملٍ عندما يجد — كما يفترض — مجرد صديقين قديمين يجلسان بشكلٍ ودِّي في منزلٍ ريفي بعد العشاء. ويبدو أنه لا يُوجَد أي عنصر من عناصر التراجيديا في مثل هذا الموقف، وفقًا لذوقه الضجر. فهذان الرجلان يبدوان على درجةٍ كافية من الراحة والاحترام. وصحيح أن هناك ويسكي وصودا أمامهما، وعلبة السيجار مفتوحة، ومع ذلك

هناك احتمالات كامنة للغضب في الشخصيات الأكثر هدوءًا، التي لا يُكشَف عنها إلا لِكتَّاب القصص في صحافتنا الرخيصة. دعِ القارئ ينتظر — إذن — حتى يرى قدرة هذين الرجلين في التحكُّم بذاتَيْهما تحت تأثير إغراءٍ كبير، ثم دعه يقول ما إذا كانت نزاهة سير جورج نيونز تأتي سالمةً من المِحَن.

سأل الروائي، بصوتٍ يشوبه القلق: (هل أحضرت الغنيمة يا سير جورج؟)

أجاب الناشر العظيم: (نعم، ولكن قبل الشروع في العد، أليس من الحكمة إعطاء الأوامر التي تضمن عدم إزعاجنا؟)

أجاب دويل ضاغطًا على زرٍّ كهربائي: (أنت مُحق.)

وعندما ظهر الخادم قال: (إذا سأل عني أحد فأنا لستُ في المنزل. بغض النظر عمَّن يأتي، أو العُذر الذي يُقدمه، يجب ألا تسمح لأي شخصٍ بالاقتراب من هذه الغرفة.)

عندما خرج الخادم، اتخذ دويل مزيدًا من الاحتياطات مُتمثلةً في قفل أحد المزاليج الضخمة التي كانت تُزين الباب البلوطي الضخم المُرصَّع بمقابض حديدية. وأخرج سير جورج من الجيب الخلفي لمعطف الحفلات الرسمية الخاص به حقيبتَين من القماش، وفك الأربطة وأفرغ الذهب الأحمر الداكن على الطاولة الملساء.

وقال: (أعتقد أنك ستجد المبلغ صحيحًا؛ ستة آلاف جنيه إجمالًا.)

سحب الكاتب كُرسيه الثقيل بالقُرب من الطاولة، وبدأ في عدِّ العملات المعدنية اثنتين اثنتين، ساحبًا كل زوجٍ من الكومة بأصبعيه المفرودتَين بطريقة شخصٍ معتاد على

التعامُل مع كنزٍ عظيم. ساد الصمت لبعض الوقت، لم يقطعه إلا خشخشة الذهب، وفجأةً اخترق صوت عالٍ من الخارج، حتى البلوط السميك للباب الضخم. وبدا أنَّ الصرخة الحادة تُثير ذكرى مُعينة في ذهن سير جورج نيونز؛ فقد أمسك بذراعي كُرسيه بعصبية، وهو جالس في وضعٍ مُستقيم، وتمتم:

(هل يمكن أن يكون هو، من بين جميع الأشخاص، في هذا الوقت، من بين كل الأوقات؟)

نظر دويل وعلى وجهه تعبير يدلُّ على الانزعاج، وتمتم، حتى لا يُخطئ في العد: (مائة وعشرة، مائة وعشرة، مائة وعشرة.)

صاح الصوت الرنان: (ليس في البيت؟ هراء! الجميع في المنزل عشية عيد الميلاد!)

سمع الخادم يرد: (لا يبدو أنك كذلك.)

(أنا؟ أوه، ليس لدي منزل، مجرد شقة في شارع بيكر. يجب أن أرى سيدك، وفي الحال.)

(لقد غادر السيد بسيارته قبل نصف ساعة لحضور حفل المقاطعة المقام الليلة في فندق رويال هتس على بُعد سبعة أميال.) أجاب الخادم بهذا التمكُّن السلِس من التخيُّل الذي يأتي دون وعي للأشخاص ذوي القدرات المُتواضعة الذين يعيشون في منزلٍ مُكرَّس لإنتاج الفن التخيُّلي.

أجاب الصوت الحاد: (هراء، أقول مُجددًا. صحيح أن آثار السيارة تظهر على الأرض أمام بابك، ولكن إذا لاحظتَ علامات الإطار المُضاد للثقب، فسترى أن السيارة تعود ولا تُغادر. فقد ذهبت إلى المحطة قبل المطر الأخير لإحضار أحد الزائرين، ومنذ وصولها لم تسقط الأمطار. وتُظهر البذلة الواقية الملطَّخة بالطين في القاعة أنها الرداء

الذي كان يلبسه الزائر. ويُشير رسم شعار النبالة عليها لمقصٍّ فوق كتابٍ موضوع على آلة طباعة، إلى أن مُرتديها هو مُحرِّر في المقام الأول، وناشر في المقام الثاني، ويملك مطبعةً في المقام الثالث. والبارونيت الوحيد في إنجلترا الذي تتوافق مهنته مع شعار النبالة هذا هو سير جورج نيونز.)

قال الخادم الذي كان يحمل في يده نسخةً من صحيفة (أنسرز): (نسيت سير ألفريد هارمسورث.)

إذا اندهش الزائر المُلح من هذا الرد غير المتوقع، فإن أسلوبه لم يُظهر أي أثرٍ للإحراج، واستكمل حديثه بلا خجل:

(مع بدء المطر الأخير في الساعة السادسة إلا عشر دقائق، كان سير جورج قد وصل إلى محطة هاسليمير على متن قطار ١٩ :٦ القادم من واترلو. لقد تناول العشاء، وفي هذه

اللحظة يجلس بكل ارتياحٍ مع سير آرثر كونان دويل، بلا شك، في الغرفة الأمامية التي أراها تشعُّ ضوءًا. الآن إذا تفضلت بأخذ بطاقتي...)

أصرَّ الخادم الحائر: (لكنني أقول لك إن السيد خرج بسيارته من أجل حفل المقاطعة في رويال...)

(أوه، أعلم، أعلم. هناك أيضًا بذلته الواقية، المَطلية حديثًا بالرصاص الأسود، وشعارها آلة كاتبة رابضة على سيارة واقفة على عجلتيها الخلفيتين.)

صاح سير جورج، وعيناه تلمعان برغبةٍ شريرة: (يا إلهي! لديك مادة كافية هناك، يا دويل، لقصة في عددنا في يناير. ما رأيك؟)

telegram @soramnqraa

قطَّب الروائي ما بين حاجبيه. وأجاب بصرامة:

(رأيي أن هذا الرجل كان يُرسِل لي رسائل تهديد. ولقد سئمتُ من تهديداته.)

قال نيونز، وهو يتنهَّد بخيبة أملٍ مُستلقيًا على كرسيه: (حسنًا، فلنغلق الباب بثلاثة مزاليج.)

سأل دويل بشراسة، وهو يقف على قدميه: (هل تحسبني رجلًا يهرُب عندما يظهر عدوه؟ لا، سأفتح المزلاج. وسأُقابل صاحب القوى الغامضة في الصالة!)

اقترح سير جورج — بابتسامة — راغبًا في تسوية النزاع بدبلوماسية: (من الأفضل أن تدعوه إلى الصالون، حيث الجو دافئ.)

وضع الروائي — دون رد — نسخةً من صحيفة (وستمنستر جازيت) الخاصة بذلك المساء فوق كومة الذهب، وسار نحو الباب، وفتحه، وقال ببرود:

(أدخل الرجل المحترم من فضلك.)

دخل إليهما رجل طويل القامة، مُتزن، هادئ، ذو وجهٍ حليق، وعينان كعينَي الصقر، وأنف فضولي.

وعلى الرغم من أن الزيارة كانت مُحرجةً للغاية في ذلك المنعطف بالذات، إلا أن لياقة الروائي الطبيعية منعته من التعبير عن استيائه من تطفُّل الزائر، وشرع في تقديم الضيف المدعو إلى الضيف غير المدعو كما لو كان كلٌّ منهما مَوضع ترحيب على حدٍّ سواء.

(سيد شيرلوك هولمز، اسمح لي أن أقدم لك سير جورج ...)

قال الوافد الجديد بنبرةٍ مُستفزة: (غير ضروري تمامًا؛ لأنني أدرك على الفور أن الشخص الذي يرتدي صدريةً خضراء يجب أن يكون ليبراليًّا مؤمنًا بآراء الحُكم الذاتي القوية، أو مُحررًا لعدة منشورات مُغلفة بدرجات اللون الأخضر الزمردي. وتُشير ربطة العنق المنقوشة بنبات النفل، بالإضافة إلى الصدرية، إلى أن الرجل المحترم أمامي هو كلاهما، ولذا فإنني أعتبر أنه من المُسلَّم به أن

هذا هو سير جورج نيونز. ما أخبار المبيعات يا سير جورج؟)

أجاب المُحرِّر: (تزداد بسرعة.)

أكَّد الدخيل بلباقة: (أنا سعيد بذلك، ويُمكنني أن أؤكد لك أن درجة الحرارة في الخارج تنخفض بنفس السرعة.)

بسط المُحقق العظيم يديه أمام النيران الكهربائية المتوهجة وفركهما بقوة: (أرى من خلال تلك الصحيفة المسائية مبلغ ستة آلاف جنيه ذهب.)

قاطعه دويل ببعض نفاد صبر: (لم ترَه من خلال الصحيفة؛ رأيتَه في الصحيفة. يا إلهي لقد ذُكر هذا الأمر في عددٍ كافٍ من الصحف.)

قال شيرلوك هولمز بهدوء: (كما كنتُ على وشك التعليق، أنا مندهش من أن رجلًا وقته ثمين للغاية يُضيعه في عدِّ النقود. أنت تُدرك بالتأكيد أن الجنيه الذهبي يزن

١٢٣/٤٤ حبة؛ لذلك إذا كنتُ مكانك، كان يجب أن أحضر ميزان المطبخ، وأفرغ العملات المعدنية، وأعرف الكمية بقلم رصاص. لقد أحضرتَ الذهب في حقيبتَين من القماش، أليس كذلك سير جورج؟)

سأل الناشر المذهول: (يا للهول، كيف تعرف ذلك؟)

لوَّح شيرلوك هولمز — بابتسامةٍ رائعة — بيده تلقائيًّا نحو الحقيبتين اللتين كانتا لا تزالان على الطاولة المصقولة.

قال دويل بضجر، وهو يجلس على أول كرسي أمامه: (أوه، لقد سئمتُ من هذا النوع من الأمور. ألا يمكنك أن تكون صادقًا، حتى في ليلة عيد الميلاد؟ أنت تعرف أنَّ العرَّافين في الماضي لم يَخدَع بعضهم بعضًا.)

قال شيرلوك هولمز: (هذا صحيح. الحقيقة هي أنني تتبَّعتُ سير جورج نيونز إلى بنك العاصمة والمقاطعات بعد ظهر اليوم، حيث طلب ستة آلاف جنيه ذهب، ولكن عندما

علِم أن هذا سيزن ستةً وتسعين رطلًا وسبع أوقيات بالوزن الأفواردوبوي، وأنه حتى بالوزن الترويسي لن يكون المبلغ أخف؛ أخذ حقيبتين صغيرتَين من الذهب والباقي أوراقًا نقدية من البنك المركزي البريطاني. لقد جئتُ من لندن على نفس القطار معه، لكنه انطلق بالسيارة قبل أن أتمكن من تعريفه بنفسي، ولذا كان علي أن أحضر إلى هنا. وزاد من تأخيري أني أخذت منعطفًا خاطئًا على القمة ووجدت نفسي في تلك البقعة الساحرة في الجوار، حيث قُتل بحَّار على يدِ اثنين من البلطجية منذ قرنٍ أو نحو ذلك.)

كانت هناك نبرة تحذير في صوت دويل عندما قال: (ألم تُلقِّنك تلك الواقعة أي درس؟ ألم تدرك أنك في منطقة خطرة؟)

أكمل هولمز، وهو يرفع حاجبيه قليلًا، بينما كانت نفس الابتسامة اللطيفة تعلو شفتيه الرفيعتين: (ومن المُرجَّح أن

ألتقيَ باثنين من البلطجية صدفة؟ لا، بل شجعني تذكُّر الواقعة. فالرجل الذي قُتل هو من كان يحمل مالًا. وأنا لم أُحضر معي أي عملةٍ معدِنية، على الرغم من توقُّعي أني سأحمل الكثير منها وأنا مغادر.)

(هل تمانع في إخبارنا، دون مزيدٍ من المراوغة في الكلام، ما الذي أتى بك إلى هنا في وقت متأخر جدًّا من الليل؟)

تنهَّد شيرلوك هولمز وبحزنٍ هزَّ رأسه ببطءٍ شديد: (بعد كل الدروس التي أعطيتُها لك يا دويل، هل من المُمكن ألا تتمكن حتى من استنتاج شيءٍ بهذه البساطة؟ لماذا أنا هنا؟ لأن سير جورج ارتكب خطأً بشأن هاتين الحقيبتَين. لقد كان مُحقًّا تمامًا في اصطحاب إحداهما إلى (أندرشو)، لكن كان يجب عليه ترك الأخرى في ٢٢١ب، شارع بيكر. وأطلق على هذه الرحلة الصغيرة (مغامرة الغنيمة الثانية). فها هي الغنيمة الثانية على الطاولة. لقد تلقَّيتُ

أول غنيمة منذ فترةٍ طويلة، ولم أحصل إلا على بعض كلمات الإطراء المعسولة في القصص التي كتبتَها. الآن، يُقال حقًّا إن الكلام المعسول لا يُغير الواقع السيئ، وفي هذا الموقف، فإنها حتى لا تصُد الغضب. وفيما يتعلق بالغنيمة الثانية، فقد جئت للمطالبة بنصفها.)

قال دويل، الذي كان غاضبًا بشكلٍ واضح من استخفاف الطرف الآخر بقدراته: (أنا لستُ سيئًا في الاستنتاج كما تتخيَّل. أدركتُ جيدًا — عندما دخلت — ماهية مهمتك. واستنتجتُ أيضًا أنه لو رأيت سير جورج يسحب الذهب من البنك، فقد تتبَّعتَه أيضًا إلى محطة واترلو.)

(أنت مُحق تمامًا.)

(وعندما اشترى تذكرته لهاسليمير، فقد فعلتَ الشيء ذاته.)

(صحيح.)

(وعندما وصلتَ إلى هاسليمير، أرسلتَ برقيةً إلى صديقك؛ الدكتور واطسون، تُخبره بمكان وجودك.)

(أنت مخطئ هنا؛ لقد ركضتُ خلف السيارة.)

(بالتأكيد أرسلتَ برقيةً من مكانٍ ما، إلى شخصٍ ما، أو على الأقل تركت رسالةً قصيرةً في صندوق البريد. فهناك علامات — لا أحتاج إلى ذكرها — تُشير بشكلٍ لا رجوع فيه لهذا الاستنتاج.)

لم يفعل الرجل المحكوم عليه بالهلاك، الذي دمَّره خُيلاؤه، شيئًا سوى الابتسام بأسلوبه المتعالي، دون أن يلاحظ النظرة المتلهفة التي انتظر بها دويل إجابته.

(خطأ تمامًا. لم أكتب أي برقيةٍ ولم أبعث أي رسالة منذ أن غادرتُ لندن.)

صاح دويل: (آه، لا. أرى أين اختلط عليَّ الأمر. لقد استفسرتَ فقط عن الطريق إلى منزلي.)

(لم أكن بحاجةٍ إلى عمل أي استفسارات. لقد اتبعت الضوء الخلفي للسيارة جزءًا من الطريق حتى أعلى التل، وعندما اختفى، استدرتُ إلى اليمين بدلًا من اليسار، حيث لم يكن هناك أحد في مثل هذه الليلة يمكنني الاستفسار منه.)

قال دويل بصوتٍ خشن بلهجةٍ ارتعدت لها فرائص ضيفه المدعو، ولكنها لم تنقل أيَّ خوفٍ من المصير للضيف المتأخر الواثق من نفسه: (استنتاجاتي — إذن — ليست ذات صلة.)

قال هولمز بثقةٍ بالنفس مُستفزة: (بالطبع كانت كذلك.)

(هل أنا مخطئ أيضًا في استنتاج أنه لم يكن هناك ما تأكله منذ مغادرتك لندن؟)

(لا، أنت مُحق تمامًا.)

(حسنًا، هل من الممكن أن تُسديَ لي معروفًا وتضغط على الزر الكهربائي.)

فعل هولمز ذلك بحماسٍ شديد، ولكن على الرغم من أن الثلاثي انتظر بضع دقائق في صمت، لم يكن هناك أي رد.

قال دويل: (أستنتج من ذلك أن الخدَم قد ناموا. بعد أن أُلبِّي جميع مطالبك فيما يتعلق باشتهائك للطعام والذهب؛ سأُعيدك في سيارتي، إلا إذا كنتَ تفضل بقاء الليلة هنا.)

قال شيرلوك هولمز: (أنت لطيف للغاية.)

أجاب دويل: (لا، على الإطلاق. فقط خذ هذا الكرسي، واسحبه نحو الطاولة وسنُقسِّم الغنيمة الثانية.)

الكرسي المشار إليه يختلف عن جميع الكراسي الأخرى في الغرفة. كان ذا ظهر مُستقيم، وذراعاه المصنوعتان من البلوط مُغطَّاتَين بطبقتين على ما يبدو من الفضة الألمانية.

عندما أمسكه هولمز من ذراعيه لسحبه للأمام، شهق شهقةً عالية، وسقط على الأرض يرتعش. قفز سير جورج نيونز واقفًا وهو يصرخ. وبقي سير آرثر كونان دويل جالسًا، تعلو شفتيه ابتسامةٌ ملائكية من الرضا اللامتناهي.

صاح سير جورج: (هل فقد وعيه؟)

(لا، لقد صُعق بالكهرباء فقط. جهاز بسيط علَّمني إيَّاه شريف نيويورك عندما كنت هناك مؤخرًا.)

(يا إلهي! ألا يمكن إنعاشه؟)

قال دويل بطريقة شخصٍ أُزيح حمل ثقيل عن كاهليه: (عزيزي نيونز، قد يسقط رجل في هوة أسفل شلال رايشنباخ وينجو ليُسجل مغامراته في وقتٍ لاحق، ولكن عندما يسري في الجسم البشري ألفا فولتٍ، فإن صاحب هذا الجسم يموت.)

سأل سير جورج، بصوتٍ خافت يشوبه الخوف: (أنت لا تقصد أن تقول إنك قتلته؟)

(حسنًا، المصطلح الذي تستخدمه قاسٍ، لكنه لا يزال يلخص الموقف بدقة. وللتحدُّث بصراحة، يا سير جورج، لا أعتقد أنهم يستطيعون اتِّهامنا بأي شيءٍ أكثر من القتل غير العمد. وكما ترى، هذا اختراع صغير لاستقبال اللصوص. كل ليلة قبل أن يذهب الخدم إلى النوم، يقومون بتوصيل هذا الكرسي بالتيار الكهربائي. لهذا طلبتُ من هولمز الضغط على الزر. وأضع طاولةً صغيرة بجانب الكرسي، وأضع عليها زجاجةً من النبيذ، والويسكي، والصودا والسيجار. ومن ثَم، إذا دخل أي لص، فإنه يجلس دائمًا على الكرسي ليُمتِّع نفسه. وكما ترى، قطعة الأثاث هذه طريقة فعالة للحد من الجريمة. فعدد اللصوص الذين سلَّمتُهم إلى الأبرشية ليدفنوهم سيُثبت أن القضاء

على هولمز لم يكن متعمدًا من قِبَلي. وهذا الحادث — على وجه التحديد — ليس جريمة قتل عمد، بل قتل غير مُتعمَّد. ولن نحصل على أكثر من أربعة عشر عامًا لكل منَّا، وربما يتمُّ تقليص ذلك الحكم إلى سبعة أعوام؛ على أساس أننا قُمنا بعملٍ ما من أجل المنفعة العامة.)

صاح سير جورج: (لكلٍّ منَّا! لكن ما علاقتي بهذا الأمر؟)

(كل شيءٍ يا سيدي العزيز، كل شيء. عندما تحدَّث ذلك الأحمق الثرثار، رأيتُ في عينك لمعانًا يُنذِر برغبتك في الاحتفاظ بهذه القصة. وفي الواقع، أعتقد أنك ذكرت عدد يناير. لذلك أنت متواطئ في الجريمة. وكان عليَّ ببساطة أن أقتُل البائس المسكين.)

غاص سير جورج في مقعده وهو يكاد لا يستطيع التنفُّس من الرعب. فالناشرون هم رجال رحيمون نادرًا ما يرتكبون جرائم، بينما المؤلفون هم مجموعة من العتاة الذين

يرتكبون جنايةً في كل مرة يصدرون فيها كتابًا. ضحك دويل باستخفافٍ وقال: (أنا معتاد على هذا النوع من الأشياء. تذكر كيف قتلتُ الناس في رواية (ذا وايت كمباني). الآن، إذا كنت ستساعدني في التخلص من الجثة، فقد يكون كلُّ شيء على ما يُرام. كما ترى، لقد علمت من هذا الساذج المُضلل نفسه أن لا أحد يعرف مكانه اليوم. وكثيرًا ما يختفي لأسابيع كل فترة، لذلك لا يُوجَد خطر كبير من أن يتمَّ اكتشافنا. هل ستساعدني؟)

صاح الرجل المُعذَّب الضمير: (أعتقد أنني يجب أن أفعل ذلك.)

تخلص دويل في الحال من التراخي الذي تسبَّب فيه مجيء شيرلوك هولمز، وتصرَّف الآن بالحيوية التي كان يتَّسِم بها. واتجه إلى المبنى الخارجي، وأحضر السيارة إلى الباب الأمامي، ثم حمل هولمز وتبعه ضيفه المُرتجف، وخرج

وألقى بالجثة على المقعد الخلفي للسيارة. ثم ألقى مجرافًا ومعولًا في السيارة، وغطَّى كلَّ شيءٍ بغطاءٍ مقاوم للماء. وأشعل المصابيح، وأمر ضيفه الصامت بالجلوس بجانبه، وبدآ رحلتهما المصيرية، مُتخِذَين الطريق الذي يمر عبر المكان الذي قُتل فيه البحار، ومنطلقَين بسرعةٍ مُخيفة إلى أسفل التل الطويل باتجاه لندن.

سأل سير جورج: (لماذا تسير في هذا الاتجاه؟ ألن يكون من الأفضل الذهاب بعيدًا باتجاه الأراضي الزراعية؟)

ضحك دويل بقسوة.

(أليس لديك مكان في ويمبلدون كومون؟ لِمَ لا ندفنه في حديقتك؟)

صاح الرجل المرعوب: (يا إلهي! كيف يمكنك أن تقترح مثل هذا الشيء؟ بالحديث عن الحدائق، لماذا لم تدفنه

في حديقة منزلك، فإنها ستكون أكثر أمانًا بكثيرٍ من السير بهذه السرعة؟)

قال دويل مُطمئنًا إيَّاه: (لا تخف، سنجد له قبرًا مناسبًا دون التطفُّل على أيٍّ من حدائقنا. سأكون في قلب لندن في غضون ساعتَين.)

حدَّق سير جورج برُعبٍ في الشيطان الذي يقود السيارة. من الواضح أن الرجل أصيب بالجنون؛ إلى لندن، من بين جميع الأماكن في العالم. بالتأكيد كان هذا هو المكان الوحيد الذي يجب تجنُّبه على وجه الأرض.

صاح قائلًا: (أوقف السيارة ودعْني أخرج. سأوقظ أقربَ قاضٍ وأعترِف له.)

قال دويل: (لن تفعل شيئًا من هذا القبيل. ألا ترى أنه لا يُوجَد شخص على وجه الأرض يشك في أن اثنين من المجرمين يتَّجِهان إلى لندن في حين أن الريف بأكمله

أمامهما؟ ألم تقرأ قصصي؟ في اللحظة التي يرتكب فيها رجل جريمة، يحاول الابتعاد عن لندن قدْر الإمكان. لذلك يعرف كل شُرطي أن رجلين قادمين إلى لندن هما غريبان بريئان، وفقًا لشرطة سكوتلاند يارد.)

(ولكن قد يتمُّ إيقافنا بسبب القيادة السريعة، تذكر الحمولة الرهيبة التي نحملها.)

(نحن بأمانٍ على الطرُق الزراعية، وسأبطئ عندما نصِل إلى الضواحي.)

كانت الساعة تقترِب من الثالثة صباحًا عندما خرجت سيارة ضخمة من ميدان ترافالجار، واتجهت شرقًا على طول شارع ستراند. وكان الجانب الشمالي من شارع ستراند مرتفعًا، كما هو الحال عادة، وانزلقت السيارة — التي كان السائق يقودها بمهارة — متجاوزةً أكوام حواجز الرصف الخشبية، والغلايات الكبيرة القاتمة التي كانت

تحمل القطران، وكل الحطام الناجم عن اضطرابات أعمال إعادة الرصف. أمام شارع ساوثهامبتون، في نفس المكان الذي رسمه بالتفصيل جورج سي هايتي على غلاف مجلة (ستراند)؛ أوقف سير آرثر كونان دويل سيارته. كان شارع ستراند مهجورًا. ألقى المِعوَل والمِجراف في مكان الحفر، وأمر رفيقه باقتضابٍ أن يختار أداته. اختار سير جورج المِعوَل، وأمسك دويل المجراف بقوة. في وقتٍ أقل تقريبًا مما يتطلبه الأمر، حُفرت حفرة مُعتبرة للغاية، ووُضعت فيها جثة المُحقِّق الخاص الشهير. بمجرد أن انتُهي من وضع آخر جرفةٍ في مكانها الصحيح، كسر الصوت الصارم لشرطيٍّ جدارَ الصمت، وجعل سير جورج يُسقِط مِعوَلَه من بين يديه المتوترتين.

(ماذا تفعلان هناك؟)

قال دويل بشكلٍ طبيعي، بوصفه شخصًا توقع كل حالةٍ طارئة: (لا بأس أيها الضابط. صديقي هنا هو المُشرف على شارع ستراند. وهو المسئول عندما يكون هناك ترميمات بالشارع، ويتمتع الشارع بأكبر حركة سير في ... أعني أنه غالبًا ما يكون به تصليحات بشكلٍ مُتكرر أكثر من أي شارعٍ آخر في العالم. لا يُمكننا فحص العمل بشكلٍ مُرضٍ أثناء وجود حركة سير، ولذا فإننا نقوم بفحصه في الليل. أنا سكرتيره، أتولى الأعمال الكتابية، كما تعلم.)

أجاب الشرطي: (أوه، فهمت. حسنًا أيها السادة، طاب صباحكما، وعيد ميلاد مجيد.)

(أتمنَّى لك نفس الشيء أيها الشرطي. هل يمكنك فقط أن تساعدنا على الصعود؟)

ساعد ضابط الشرطة كلًّا من الرجلين للصعود إلى مستوى الطريق.

وبينما كان دويل يقود السيارة مُبتعدًا عن البقعة المشئومة قال:

(وهكذا تخلَّصْنا من هولمز المسكين في أكثر بقعةٍ ازدحامًا على وجه الأرض، حيث لن يفكر أحدٌ أبدًا في البحث عنه. ودفنَّاه دون حتى أن نضعه في صندوق عيد الميلاد. دفناه إلى الأبد في شارع ستراند.)

مغامرات
شيرلو كومبس

أقدم إعتذاري للسير
أرثر كونان دويل
ولكتابه الرائع
(دراسة في اللون القرمزي)

ذهبت لزيارة صديقي، شيرلو كومبس دون موعدٍ سابق؛ لسماع ما لديه ليقوله عن لغز بيجرام، كما سُمِّي في الصحف. وجدتُه يعزف على الكمان وعلى وجهه نظرة سكينة وسلام جميلة، لم أُلاحظها أبدًا على أوجه من هُم على مسافةٍ قريبة. كنت أعرف أن تعبير الهدوء الملائكي هذا يُشير إلى أن كومبس كان منزعجًا بشدة من شيءٍ ما. وقد ثبت، بالفعل أن الأمر كذلك؛ حيث احتوت إحدى الصحف الصباحية على مقال يمدح يقظة شرطة سكوتلاند يارد وكفاءتها العامة. كان ازدراء شيرلو كومبس لشرطة سكوتلاند يارد كبيرًا جدًّا لدرجة أنه لم يزُر اسكتلندا أبدًا أثناء إجازاته، ولم يعترف أبدًا أنَّ الرجل الاسكتلندي مناسب لأي شيءٍ سوى التصدير، تكرَّم ووضع كمانه جانبًا؛ لأنه كان مُعجبًا بي حقًّا، واستقبَلني بلطفه المعتاد.

بدأتُ الحديث على الفور عن الأمر الذي يدور في ذهني قائلًا: (لقد جئتُ لسماع رأيك في لغز بيجرام العظيم.)

قال بهدوء: (لم أسمع به.) تمامًا كما لو أن كل لندن لا تتحدَّث عن هذا الشيء بالذات. كان كومبس يجهل بشكلٍ غريب بعض الموضوعات، ويعلم بأخرى بشكل غير طبيعي. وقد وجدت على سبيل المثال، أن النقاش السياسي معه كان مُستحيلًا؛ لأنه لم يكن يعرف من كان سالزبوري وجلادستون. وهذا جعل صداقته نعمةً عظيمة.

(حيَّر لغز بيجرام حتى المُحقق جريجوري من شرطة سكوتلاند يارد.)

قال صديقي بهدوء: (يمكنني تصديق ذلك جدًّا. إن الحركة الدائمة، أو تربيع الدائرة، سيُربك جريجوري. لأنه قليل الخبرة.)

كان هذا أحد الأشياء التي أحببتُها دائمًا في كومبس. لم يكن فيه أي غيرة مهنية، مثلما يتَّسم به الكثير من الرجال الآخرين.

ملأ غليونه، وألقى بنفسه على كرسيه الوثير ذي الذراعين، ووضع قدميه على رفِّ المدفأة، وشبَّك يديه خلف رأسه.

قال ببساطة: (أخبِرْني عن ذلك الأمر.)

بدأت حديثي قائلًا: (كان باري كيبسون العجوز سمسارًا في البورصة في لندن. وكان يعيش في بيجرام، وكانت عادته أن...)

صاح كومبس دون أن يُغير طريقة جلوسه ولكن بشكلٍ مفاجئ أفزعني: (ادخل!) لم أكن قد سمعتُ أي طرق.

قال صديقي ضاحكًا: (عفوًا، كانت دعوتي للدخول سابقةً لأوانها بعض الشيء. لقد كنت مهتمًّا جدًّا بروايتك لدرجة أنني تحدثتُ قبل أن أفكر، وهو ما لا يجب على المُحقق

فعله أبدًا. والحقيقة هي أنه خلال لحظات سيأتي رجل ليُخبرني بكل شيءٍ عن هذه الجريمة، وبهذا ستدَّخر المزيد من الجهد.)

قلتُ وأنا أقوم من مكاني: (أوه، لديك موعد. في هذه الحالة لن أكون متطفلًا.)

(اجلس، ليس لدي موعد. لم أكن أعرف حتى تكلمتُ أنه قادم.)

حدقت فيه بدهشة. بما أنني معتاد على مواهبه الاستثنائية، كان الرجل مفاجأةً لا تنتهي بالنسبة إليَّ. استمرَّ في التدخين بهدوء، لكن من الواضح أنه استمتع بذُعري.

(أرى أنك متفاجئ. من السهل جدًّا التحدث عن هذا الأمر؛ فمن مكاني المقابل للمرآة، يمكنني رؤية انعكاس الأشياء في الشارع. توقَّف رجلٌ ونظر إلى إحدى بطاقاتي، ثم نظر عبر الشارع. لقد تعرفت على بطاقتي؛ لأنها — كما

تعلم — كلها باللون القرمزي. لو كانت لندن — كما قلت — تتحدَّث عن هذا اللغز؛ فمن الطبيعي أنه سيتحدَّث عنه، ومن المُحتمل أنه يرغب في التشاور معي بشأنه. يمكن لأي شخصٍ أن يرى ذلك، بالإضافة إلى أنه يُوجَد دائمًا ... ادخل!)

كان هناك طرق على الباب هذه المرة.

دخل رجل غريب. لم يُغير شيرلو كومبس جِلسته المُسترخية.

قال الرجل الغريب وهو يدخل في نطاق رؤية المدخن: (أريد أن أرى السيد شيرلو كومبس، المُحقق.)

علَّقت أخيرًا: (هذا هو السيد كومبس.) بينما كان صديقي يدخِّن بهدوء، وبدا نصف نائم.

تابع الرجل الغريب محاولًا بارتباكٍ البحث عن بطاقة له: (اسمح لي أن أُقدم نفسي.)

قال كومبس: (لا حاجة لذلك. أنت صحفي.)

قال الرجل الغريب وهو مندهش بعض الشيء: (آه، أنت تعرفني إذن.)

(لم أشاهدك أو أسمع عنك في حياتي من قبل.)

(إذن كيف بحق السماء...)

(هذا أمر بسيط للغاية. فأنت تكتب في صحيفة مسائية. ولقد كتبتَ مقالًا ينتقد بشدَّة كتابًا لأحد الأصدقاء. وسيشعر بالسوء حيال ذلك، وستُعرِب عن مواساتك له. ولن يعرف أبدًا مَن طعنه ما لم أُخبره.)

صاح الصحفي: (يا إلهي!) وهوى على أحد الكراسي ومسح جبينه، بينما أصبح وجهه شاحبًا جدًّا.

ردَّ كومبس بتكاسُل: (نعم، إنه لمن العار حقًّا أن يتم مثل هذه الأشياء. لكن ماذا تريد؟ كما نقول في فرنسا.)

عندما استعاد الصحفي طاقته، تمالك نفسه بعض الشيء. وقال: (هل تمانع في إخباري كيف تعرف هذه التفاصيل عن رجلٍ تقول إنك لم ترَه من قبل؟)

قال كومبس بهدوءٍ كبير: (نادرًا ما أتحدَّث عن هذه الأشياء. لكن بما أن تنمية عادة الملاحظة قد تساعدك في مهنتك، وبالتالي ستُفيدني على المدى البعيد بجعْل صحيفتك أقلَّ مللًا؛ سأخبرك. أصبعاك الأول والثاني مُلطخان بالحبر، مما يدل على أنك تكتب كثيرًا. تضم هذه الطبقة الملطخة فئتين فرعيتَين؛ الكتبة أو المحاسبين والصحفيين. والكتبة يجب أن يكونوا متأنقين في عملهم. لذا في حالتهم تكون بقعة الحبر طفيفة. أما أصابعك فهي ملطخة بشدَّة وبلامبالاة؛ لذلك أنت صحفي. لديك صحيفة مسائية في جيبك. قد يكون لدى أي شخص أي صحيفة مسائية، لكن نُسختك هي إصدار خاص لن يكون في

الشوارع إلا بعد نصف ساعة من الآن. يجب أن تكون قد حصلت عليه قبل مغادرتك المكتب، ولكي تقوم بذلك يجب أن تكون ضمن طاقم العمل. وُضِعت علامة على التحليل النقدي لأحد الكتب بقلم أزرق. فالصحفي يحتقر دائمًا كل مقال في صحيفته لم يكتبه بنفسه؛ لذلك؛ أنت كتبت المقال الذي وضعتَ علامةً عليه، ولا شك أنك على وشك إرساله إلى مؤلِّف الكتاب المُشار إليه. وتتخصَّص صحيفتك في الإساءة لجميع الكتب التي لم يكتبها أحد أعضاء طاقمها. وببساطة توقعتُ أن المؤلف صديق لك. وهذا كله مثال بسيط للملاحظة العادية.)

(حقًّا يا سيد كومبس، أنت أروع رجلٍ على وجه الأرض. أنت تُضاهي جريجوري، يا إلهي، أنت تضاهيه.)

قطَّب صديقي جبينه وهو يضع غليونه على الخزانة، وسحب مُسدسه الذاتي التلقيم ذا الستِّ رصاصات.

(هل تقصد إهانتي يا سيدي؟)

(أنا، لا أقصد ... أنا ... أنا أؤكد لك. أنت قادر على تولي مسئولية شرطة سكوتلاند يارد غدًا. أنا جاد في ذلك، حقًّا أنا جاد يا سيدي.)

صرخ كومبس وهو يرفع ذراعه اليُمنى ببطء: (إذن فلْيساعدك الرب.)

telegram
@soramnqraa

قفزتُ بينهما.

صحت: (لا تُطلق النار! سوف تُتلف السجادة. إلى جانب ذلك، ألا ترى يا شيرلو أن الرجل نيته طيبة. إنه يعتقد في الواقع أنها مجاملة!)

علَّق المحقق: (ربما أنت على حق.) وهو يقذف مسدسه بلامبالاة بجانب غليونه، مما أراح الطرف الثالث إلى حدٍّ كبير. بعد ذلك، توجَّه إلى الصحفي وقال — بلطفه الباهت المعتاد:

(أعتقد أنك قلت إنك كنتَ تريد رؤيتي. ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك، سيد ويلبر سكريبينجس؟)

ذُهل الصحفي. وقال وهو يلهث: (كيف تعرف اسمي؟)

لوَّح كومبس بيده بفراغ صبر:

(انظر داخل قبعتك لو كنت تشكُّ في اسمك.)

حينها لاحظتُ لأول مرة أن الاسم كان واضحًا للعيان داخل قبعته التي كان يمسكها بالمقلوب في يديه.

(لقد سمعت، بالطبع، عن لغز بيجرام.)

صرخ المحقق: (هراء، لا تسمِّه لغزًا، أتوسَّل إليك. لا يُوجَد شيء من هذا القبيل. وكأن الحياة ستصبح أكثر احتمالًا إذا كان هناك لغز. لا شيء أصلي. كل شيء أُنجزِ من قبل. ماذا عن مسألة بيجرام؟)

(لقد حيَّرت آه مسألة بيجرام الجميع. ترغب صحيفة (إيفنينج بليد) في أن تقوم أنت بالتحقيق؛ حتى تنشر النتيجة. وسوف تدفع لك جيدًا. هل تقبل المهمة؟)

(ربما. أخبِرْني عن الموضوع.)

(اعتقدتُ أن الجميع يعرف التفاصيل. على كل حال، عاش السيد باري كيبسون في بيجرام. وكان يحمل تذكرةً موسميةً بالدرجة الأولى من المحطة الطرفية وحتى تلك المحطة. وكان من عادته أن يغادر إلى بيجرام في قطار الساعة ٥:٣٠ كل مساء. قبل بضعة أسابيع، أُصيب السيد كيبسون بالإنفلونزا. في زيارته الأولى للندن بعد شفائه، سحب ما يقرُب من ٣٠٠ جنيه إسترليني من الأوراق النقدية، وغادر المكتب في وقته المعتاد ليلحق بقطار الساعة ٥:٣٠. لم يُرَ مرةً أخرى على قيد الحياة، وفقًا لما أبلغ عنه الحضور. عُثِر عليه في بروستر في مقصورة

بالدرجة الأولى في القطار الاسكتلندي السريع، الذي لا يتوقف بين لندن وبروستر. كانت هناك رصاصة في رأسه، واختفى ماله، مما يُشير بوضوح إلى القتل والسرقة.)

(وهل لي أن أسأل أين اللغز؟)

(هناك عدة أشياء غير قابلة للتفسير بشأن القضية. أولًا، كيف كان على متن القطار الاسكتلندي السريع الذي يغادر الساعة السادسة ولا يتوقف عند بيجرام؟ ثانيًا، كان لمُفتشي التذاكر أن يطردوه في المحطة الطرفية لو أظهر تذكرته الموسمية، وهناك تقرير بجميع التذاكر المباعة للقطار الاسكتلندي السريع في يوم الحادي والعشرين. ثالثًا، كيف يمكن للقاتل أن يهرب؟ رابعًا، لم يسمع الركاب في المقصورتَين اللتين على جانبي المقصورة — حيث عُثِر على الجثة — أي شجارٍ أو إطلاق نار.)

(هل أنت مُتأكد من أن القطار الاسكتلندي السريع في يوم الحادي والعشرين لم يتوقف بين لندن وبروستر؟)

(الآن بعد أن ذكرت هذا الأمر، نعم توقَّف. أُوقِفَ عن طريق إشارة خارج بيجرام مباشرة. توقف لبضع لحظات، وعندما أُبلِغَ أن الخط خالٍ، تابع السير مرةً أخرى. يحدث هذا بشكل مُتكرر، حيث يُوجَد خطٌّ فرعي بعد بيجرام.)

تأمل السيد شيرلو كومبس لبضع لحظاتٍ وهو يدخن غليونه بصمت:

(أفترض أنك تتمنى الحصول على الحل في أقرب وقتٍ من أجل صحيفة الغد؟)

(يا إلهي، لا. يعتقد المُحرِّر أنك إذا كوَّنت نظريةً في غضون شهر؛ فسيكون هذا جيدًا.)

(سيدي العزيز، أنا لا أتعامل مع النظريات ولكن مع الحقائق. إذا كان بإمكانك المجيء هنا غدًا في الساعة ٨

صباحًا؛ فسأُقدِّم لك التفاصيل الكاملة مُبكرًا بما يكفي للإصدار الأول. فلا معنى لقضاء الكثير من الوقت في قضيةٍ بسيطة مثل قضية بيجرام. طاب مساؤك سيدي.)

لم يستطع السيد سكريبينجس ردَّ التحية بسبب فرط اندهاشه. وغادر وهو عاجز عن الكلام، ورأيته يسير في الشارع ولا تزال قبعته في يده.

عاد شيرلو كومبس إلى جِلسته القديمة المُسترخية، ويداه مشبوكتان خلف رأسه. خرج الدخان من شفتيه في شكل نفثات سريعة في البداية، ثم على فترات زمنية أطول. رأيته على وشك الانتهاء، لذلك لم أقل شيئًا.

أخيرًا تحدَّث بأسلوبه الحالم قائلًا: (لا أُريد أن أبدوَ مُستعجلًا للأمور على الإطلاق يا واطسون، لكنني سأخرج الليلة على متن القطار الاسكتلندي السريع. هل تودُّ مُرافقتي؟)

(يا إلهي!) صرخت وأنا أنظر إلى الساعة: (ليس لديك وقت، لقد تجاوزت الخامسة الآن.)

تمتم، دون تغيير جلِسته: (لدينا مُتسع من الوقت يا واطسون، مُتسع. أُعطي نفسي دقيقةً ونصفًا لخلع النعلين والمبذل وارتداء الحذاء والمعطف، وثلاث ثوانٍ للقبعة، وخمسًا وعشرين ثانيةً للشارع، واثنين وأربعين ثانيةً في انتظار العربة، ثم سبع دقائق للوصول عند المحطة الطرفية قبل أن يتحرك القطار السريع. تُسعدني صحبتك.)

كنتُ سعيدًا جدًّا بحصولي على امتياز الذهاب معه. وكان من المُشوِّق جدًّا مشاهدة طرُق عمل مثل هذا العقل الغامض للغاية. أثناء مرورنا أسفل السقف الحديدي العالي للمحطة الطرفية، لاحظت ظهور نظرة انزعاج على وجهه.

علَّق وهو ينظر إلى الساعة الكبيرة: (نحن مُتقدمون بخمس عشرة ثانيةً عن وقتنا. أنا لا أحب أن يحدث خطأ في التقدير من هذا النوع.)

كان القطار الاسكتلندي السريع العظيم جاهزًا لرحلته الطويلة. نقر المُحقق على كتف أحد الحراس:

(هل سمعتَ عمَّا يُسمى بلغز بيجرام، على ما أظن؟)

(بالتأكيد يا سيدي. حدث ذلك في هذا القطار بالتحديد يا سيدي.)

(حقًّا؟ هل العربة ذاتها لا تزال في القطار؟)

أجاب الحارس، خافضًا صوته: (حسنًا، نعم يا سيدي، إنها كذلك، لكن بالطبع، علينا التزام الصمت حيال ذلك. وإلا فلن يسافر الناس فيها.)

(بلا شك. هل تعرف ما إذا كان هناك أحد يشغل المقصورة التي عُثر فيها على الجثة؟)

(سيدة ورجل يا سيدي؛ لقد أدخلتُهما فيها بنفسي.)

قال المُحقق، وهو يضع ببراعةٍ قطعةً نقديةً بقيمة نصف جنيه إسترليني في يد الحارس: (هل من المُمكن إذن أن تُسدِيَ لي معروفًا وتذهب إلى النافذة وتخبرهما بطريقة غير رسمية مُرتجلة أن المأساة وقعت في تلك المقصورة؟)

(بالتأكيد يا سيدي.)

اتَّبعنا الحارس، وفي اللحظة التي نقل فيها الخبر كان هناك صرخة مكتومة في العربة. وعلى الفور خرجت سيدة، يتبعها رجل ذو وجهٍ وردي، ينظر بغضبٍ إلى الحارس. دخلنا المقصورة التي أصبحت فارغةً الآن، وقال كومبس:

(نودُّ أن نكون وحدَنا هنا حتى نصِل إلى بروستر.)

أجاب الحارس: (سأضمن لك ذلك يا سيدي.) وأغلق الباب.

عندما غادر الشخص المسئول، سألتُ صديقي عمَّا يتوقع أن يجده في العربة من شأنه أن يُلقيَ أي ضوءٍ على القضية.

كان ردُّه المُختصر: (لا شيء.)

(إذن لماذا أتيت؟)

(لمجرد تأكيد الاستنتاجات التي توصَّلتُ إليها بالفعل.)

(وهل لي أن أسأل ما هي هذه الاستنتاجات؟)

أجاب المُحقق بنبرة متكاسلة: (بالتأكيد. أرجو أن ألفت انتباهك، أولًا، إلى حقيقة أنَّ هذا القطار يقف بين رصيفَين، ويمكن دخوله من أي جانب. أي شخص يتردَّد على المحطة لسنواتٍ سيكون على درايةٍ بهذه الحقيقة. يوضح هذا كيف دخل السيد كيبسون القطار قبل أن ينطلق مباشرة.)

حاولتُ أن أعترض قائلًا: (لكن الباب على هذا الجانب مقفول.)

(بالطبع. لكن كل حامل تذكرة موسمية يحمل مفتاحًا. هذا ما يفسر عدم رؤية الحارس له، وعدم وجود تذكرة. الآن اسمح لي أن أقدم لك بعض المعلومات عن الإنفلونزا. ترتفع درجة حرارة المريض عدة درجات فوق المُعدل الطبيعي، ويُعاني من حمَّى. عندما يصل المرض إلى نهايته؛ تنخفض درجة الحرارة بمقدار ثلاثة أرباع درجة عن المعدل الطبيعي. أعتقد أن هذه الحقائق غير معروفة لك، لأنك طبيب.)

اعترفتُ أن الأمر كذلك حقًّا.

(حسنًا، عاقبة هذا الانخفاض في درجة الحرارة هي أن عقل الشخص المُتماثل للشفاء يميل نحو الأفكار الانتحارية. وهذا هو الوقت الذي يجب أن يُراقبه فيه

أصدقاؤه. ولكن أصدقاء السيد باري كيبسون لم يراقبوه في هذا الوقت. بالطبع أنت تتذكَّر يوم الحادي والعشرين. أليس كذلك؟ كان يومًا كئيبًا للغاية؛ الضباب في كل مكان، والطين تحت الأقدام. جيد جدًّا. يُقرر الانتحار. يرغب في عدم الكشف عن هُويته إن أمكن، لكنه ينسى تذكرته الموسمية. حسب خبرتي، الرجل الذي على وشك ارتكاب جريمةٍ دائمًا ما ينسى شيئًا ما.)

(لكن ما تفسيرك لاختفاء المال؟)

(المال ليس له علاقة بالموضوع. لو كان رجلًا عميقًا، وعلى علمٍ بغباء شرطة سكوتلاند يارد؛ فمن المُحتمل أنه أرسل الأوراق النقدية إلى عدو. ولو لم يكن الأمر كذلك؛ فربما أُعطيت لصديق. أفضل خطة لتجهيز العقل للانتحار هي إمكانية الذهاب في رحلةٍ ليلية على متن القطار الاسكتلندي السريع، والمنظر من نوافذ القطار وهو يمرُّ

عبر الجزء الشمالي من لندن، يُفضي بشكل خاص إلى أفكار تدميرية.)

(ماذا حدث للسلاح؟)

(هذه هي النقطة التي أرغب في إرضاء نفسي بشأنها. اعذرني لحظة.)

سحب السيد شيرلو كومبس النافذة على الجانب الأيمن لأسفل، وفحص الجزء العلوي من الإطار بدقة باستخدام عدسة مكبرة. بعد وقتٍ قصير تنفَّس الصعداء، ورفع درفة النافذة.

وقال وهو يتحدَّث إلى نفسه لا معي: (كما توقَّعتُ تمامًا. هناك تجويف طفيف في الجزء العلوي من إطار النافذة. وهو ذو طبيعة لا يمكن صُنعها إلا من خلال زناد مسدس يسقط من يدِ مُنتحرٍ واهنة. كان ينوي إلقاء السلاح بعيدًا عن النافذة، لكنه لم يكن لديه القوة. ربما سقط في العربة.

في الواقع، ارتدَّ بعيدًا عن خط السكة الحديدية ووقع بين العُشب على بُعد حوالي عشرة أقدام وستٍّ بوصات من القضيب الخارجي. السؤال الوحيد الذي يتبقى الآن هو: أين ارتُكِبَ الفعل؟ والموقع الحالي الدقيق للمُسدس محسوب بالأميال من لندن. لكن هذا — لحُسن الحظ — بسيط للغاية لا يحتاج إلى شرح.)

صِحت: (يا إلهي، شيرلو! كيف يمكنك أن تطلق على ذلك أمرًا بسيطًا؟ يبدو لي أنه من المُستحيل حسابه.)

كنَّا الآن نمرُّ فوق شمال لندن، وانحنى المُحقق العظيم إلى الوراء وهو يشعر بالملل، وأغمض عينيه. أخيرًا تحدَّث بضجر:

(إنها حقًّا بسيطة للغاية يا واطسون، لكنني دائمًا على استعدادٍ لإسداء معروف لصديق. ومع ذلك، سأشعر بالارتياح عندما تكون قادرًا على فهم المبادئ الأساسية

للتحقيق بنفسك، على الرغم من أنني لن أعترض أبدًا على مساعدتك في الكلمات التي تزيد على ثلاثة مقاطع لفظية. بعد أن قرَّر كيبسون الانتحار، كان ينوي بطبيعة الحال القيام بذلك قبل أن يصِل إلى بروستر؛ لأنه يتم فحص التذاكر مرةً أخرى عند تلك النقطة. عندما بدأ القطار في التوقف عند الإشارة بالقرُب من بيجرام، توصَّل إلى الاستنتاج الخاطئ؛ أنه كان يتوقف في بروستر. حقيقة أن الطلقة لم تُسمَع ترجِع إلى صرير المكابح الهوائية، بالإضافة إلى ضجيج القطار. ربما كانت الصافرة تدوِّي أيضًا في نفس اللحظة. سيتوقف القطار بالقُرب من الإشارة قدْر الإمكان لأنه قطار سريع. ستُوقِف المكابح الهوائية القطار بعد نقطة الإشارة بمقدار ضِعف طوله، فلنقُلْ ثلاثة أمثال الطول في هذه الحالة. جيد جدًّا. بثلاثة أمثال طول هذا القطار من عمود الإشارة باتجاه لندن، مع

اقتطاع نصف طول القطار، حيث إن هذه العربة في المنتصف، ستجد المسدس.)

هتفت: (رائع!)

تمتم: (أمر عادي.)

في هذه اللحظة، بدا صوت الصافرة حادًّا، وشعرنا باحتكاك المكابح الهوائية.

صاح كومبس بشيءٍ يُشبه الحماس: (إشارة بيجرام مرةً أخرى. يا له من حظ. سوف ننزل هنا يا واطسون، ونختبر الأمر.)

عندما توقف القطار، نزلنا على الجانب الأيمن من خط السكة الحديدية. وقف المُحرك يلهث دون انقطاع تحت الضوء الأحمر، الذي تغيَّر إلى اللون الأخضر عندما نظرتُ إليه. مع تقدم القطار بسرعةٍ متزايدة، أحصى المُحقق عدد العربات، وسجَّله. حلَّ الظلام الآن، والهلال مُعلَّق في

السماء الغربية يُلقي بضوءٍ خافت غريب على قضبان السكة الحديدية اللامعة. اختفت المصابيح الخلفية للقطار خلف مُنحنًى، ووقفت الإشارة باللون الأحمر البائس مرةً أخرى. أعجبني السحر الأسود الذي تُضفيه تلك الليلة المُنعزلة في ذلك المكان الغريب، لكن المُحقق كان رجلًا عمليًّا. أسند ظهره على عمود الإشارة، وسار على خط السكة الحديدية بخطواتٍ متساوية، وهو يَعدُّها. مشيتُ على طول الطريق الدائم بجانبه بصمت. توقف أخيرًا وأخذ شريط قياس من جيبه، قاس حتى عشرة أقدام وستٍّ بوصات، محاولًا قراءة الأرقام في الضوء الشاحب للقمر الجديد. وضع مفاصل أصابعه على قضبان السكة الحديدية، مُشيرًا إليَّ للمضي قدمًا على الجسر للوصول إلى نهاية الشريط. فردْتُ شريط القياس، ثم غرستُ يدي في العشب الرطب لتحديد البقعة. صرخت مذعورًا: (يا إلهي! ما هذا؟)

قال كومبس بهدوء: (إنه المسدس.)

وقد كان حقًّا المسدس! من الصعب على مدينة لندن الصحفية نسيان الإحساس الذي أحدثه تقرير تحقيقات شيرلو كومبس الذي طُبع باستفاضةٍ في صحيفة (إيفنينج بليد) في اليوم التالي. ليتَ قصتي انتهت هنا. لكن وا حسرتاه! سلَّم كومبس المُسدس بازدراءٍ إلى شرطة سكوتلاند يارد. وعثر المسئولون المُتطفلون — بدافع الغيرة، كما كنتُ أومن دائمًا — على اسم البائع على المسدس. وأجرَوا التحقيقات. وشهد البائع بأنه لم يكن في حوزة السيد كيبسون، على حدِّ علمه. بل بِيعَ لرجل يتوافق وصفه مع وصف مجرم تراقبه الشرطة منذ فترةٍ طويلة. وتم القبض عليه وشهد ضدَّ زميلٍ له على أمل شنقه. يبدو أن السيد كيبسون — الذي كان رجلًا كئيبًا قليل الكلام، وعادةً ما كان يعود إلى المنزل في مقصورة بمفرده، هربًا

من الملاحظة — قد قُتل في الحارة المؤدية إلى منزله. وبعد سرقة أمواله، وجَّه المُجرمان أفكارهما نحو التخلُّص من الجثة، وهو موضوع يشغل دائمًا العقول الإجرامية من الدرجة الأولى قبل ارتكاب الفعل. اتفقا على وضعه على قضيب السكة الحديدية، ليمرَّ عليه القطار الاسكتلندي السريع المُتوقَّع وصوله قريبًا. قبل أن يصِلا بالجثة حتى منتصف الطريق على الجسر جاء القطار الاسكتلندي السريع وتوقف. نزل الحارس وسار على طول الجانب الآخر للتحدُّث مع المهندس. خطرت على الفور للقاتِلَين فكرة وضع الجثة في عربة فارغة بالدرجة الأولى. فتحا الباب بمفتاح المُتوفَّى. ومن المفترض أن المسدس سقط عندما كانا يرفعان الجثة في العربة.

لم تنجح حيلة الشهادة ضدَّ شخصٍ آخر، وأهانت شرطة سكوتلاند يارد صديقي شيرلو كومبس بطريقةٍ وضيعة بإرسال تصريحٍ له لرؤية عملية شنق الأشرار.

telegram @soramnqraa

مكتبة سر من قرأ

بطلا هذه القصة هما المُحقّق الشهير «شيرلوك هولمز» — تلك الشخصية الرائعة التي كتبها «كونان دويل». والتي كانت في أوج شهرتها في ذلك الوقت — و«آرثر كونان دويل» نفسه. تنضح القصة بالفكاهة والخيال الساخر. وفي الوقت نفسه تمتلئ بالإثارة: حيث يزور المُحقّق الشهير «شيرلوك هولمز» منزل «آرثر كونان دويل» عشية عيد الميلاد بلا موعد سابق ليُطالب الروائيّ وضيفه الناشر بنصيبه من «الغنيمة الثانية». فيُخطّط «دويل» لقتله بطريقة مبتكرة تليق بكاتب ذي خيال خصب. فهل يموت «شيرلوك هولمز» حقًا؟

telegram @soramnqraa

9 789922 937076

بغدادي